النشاط الثقافيّ والإبداعيّ في الجليل والمثلّث

ملف من إعداد وتقديم: د. فاروق مواسي
تقديم ثان: د. فيصل دراج

المشـــاركـــون
(ألفبائيًا)

- أحمد حسين
- أحمد سليمان
- أحمد هيبي
- أنطون شلحت
- جريس دبيات
- حسين مهنّا
- حنا أبو حنا
- رجاء بكرية
- زهيرة صباغ
- سليم مخولي
- سعود الأسدي
- سهيل كيوان
- سيمون عيلوطي
- صالح حبيب
- صفاء طميش
- طه محمد علي
- عدنية شبلي
- علاء حليحل
- فاروق مواسي
- فراس خطيب
- فهد أبو خضرة
- محمد نفّاع
- نايف خوري
- يوسف أبو وردة

نحن فلسطين... حتى في إسرائيل!

بقلم: فاروق مواسي

يا إخوتي

يأتي هذا الملفّ ليعرّفكم على الطيور التي ابتعدتْ عن السّرب بغير إرادتها، ليقول لكم إنّ هذه الغصون التي كادت أن تنسلخ مازالت على أصولها قائمةً بإذن شعبها، وإنّها ما برحتْ تتشبّث بوطنها، بقدسها، بجليلها ومثلّثها ونقبها، ببحرها الذي يعانق شواطئَ يافا وحيفا وعكّاء وقيسارية و... وكم تقول لكم الأسماءُ ما تقول!

...

تَعَرَّف العالمُ العربيُّ على درويش والقاسم وسالم جبران وتوفيق زيّاد وحبيبي وغيرهم من خلال نوافذ كانت مشرعةً في حينه، وكانت الآداب في طليعتها. فقدّمتْ نماذجَ علا صيتُها، وأصدرتْ كتبَهم، فكان ذلك ممّا يبعث الاعتزازَ في النفس والخاطر.

ويظلّ الكاتبُ الشهيدُ غسان كنفاني هو الرائدَ في التعريف بأدب الفلسطينيين في الداخل. فقد نَشَرَ في عدد حزيران ١٩٦٦ من الآداب قصيدةَ «عاشق من فلسطين» لمحمود درويش، وهي مستقاة من كتاب كان يُعدّه للنشر عن دار الآداب تحت عنوان **أدب المقاومة في فلسطين المحتلة**. وفي العدد التالي من الآداب (تموز/يوليو) كَتب مقدّمةً عن هذا الأدب الذي أَدهش القارئَ العربيّ، وقد بدأها بما يلي: «حين وقعتْ كارثةُ فلسطين عام ١٩٤٨ لم تخلّف تغييرًا جذريًا في المجتمع العربيّ هناك من حيث العددُ فقط، ولكنّها أحدثتْ هزةً جوهريةً في التركيب الاجتماعيّ لعرب فلسطين المحتلة. فأكثرُ من ثلاثة أرباع المائتيْ ألف عربيّ الذين بَقُوا يومذاك في فلسطين بعد الاحتلال الصهيونيّ كانوا من سكّان القرى. أما سكّان المدن فقد هَجَرت الغالبيةُ الساحقةُ منهم فلسطينَ إبّان حرب الـ ١٩٤٨ أو بعدها بقليل، وأَحدثَ هذا الواقعُ اهتزازًا صاخبًا في جوهر المجتمع العربيّ هناك...»

وإذا كان محمود درويش قد غادر وطنَه عام ١٩٧١ فقد رَسَخَ ههنا أدباء واصلوا عطاءَهم. وكانت الآداب قد نشرتْ لسميح القاسم، أبرز هؤلاء الأدباء، قصيدةً بعنوان: «والمواعيد أنا» في عدد يناير عام ١٩٦٩. ونحن نَقْتبس منها مطلعَها الذي يَصْلح لأن يكون مفتتحًا لهذا الملف الذي يضمّ كوكبةً من رفاقِ سميح في أغاني دربه:

«شهوةُ الكدح من الفجر، وموّالُ الإيابْ

مسربُ الوعر، وآلافُ الأكفِّ السمْر

ترتاحُ على مقْبضِ بابْ

والمواعيدُ أنا، وزغرودةُ الميلاد

والدمعُ على تطريزِ منديلِ اغترابْ

وأنا نعناعةُ التلِّ

أنا النبعُ وغصنُ الورد

والمزرابُ والمدفأةُ المهجورة

السطحُ... أنا سنبلةُ الحقل

الشجيراتُ... ودُوريُّ القبابْ

كنتُ راعي الغنمِ الأسمر

والأرغول،

كنتُ الشمعةَ المبتلةَ الأردانِ في البحر

الصواري.. الرحلةَ الليلية.. الشطّ

انتظارَ الطفلِ في بابِ الغيابْ

وأنا قطعةُ أرض،

سكة... همةُ فلاّح

رحيلٌ في الترابْ

فإذا بيَّارةٌ تَطْلُعُ من لحمي

وأطفالٌ وخبزٌ وكتابْ.»

...

ظل أدباؤنا يتابعون إخوتَهم ما وسعتْهم الحيلةُ والظَّرف. فإذا أرادوا أن يعرِّفوا بأنفسهم كانوا يجدون الأبوابَ موصدةً دونهم؛ فهمُ «الغرباء،» أو «أبناء الغريبة.» البعضُ ادّعى أنّ القربى تطبيع، والبعضُ كان يضعنا في قفص اتهام أو في دائرةِ ريبة، وكأنَّنا نحن الذين صَنَعْنا «النكبةَ» أو «النكسةَ» أو «النكدة» أوْ... قِسْ على ذلك!

إنّ هذه الإضمامة * من الإبداعات الفلسطينية في الجليل والمثلّث، وبعضُها من الأصوات الجديدة، هي ردٌّ واضحٌ وعالٍ يقول إنّنا جزءٌ لا يتجزّأ من واقع يَفْرض نفسَه على إسرائيل ـ آجلاً أَمْ عاجلاً. وستتلاشى المقولة التي ترى أنّ دولتهم يهودية محضة؛ فثمّة مَنْ يتنفّس هواءَ فلسطين، ويتعشّق تربتَها، ويَعرف لغةَ طيرها، ويناجي أنداءَ أعشابها، ويستَلْهم صبرَها:

«لأنّ الصبرَ والزيتونَ قالا إنّنا جذر

ويَصْعب قلعُ هذا الجذرِ ما رامتْ أعاديه.»

ونَزْرع الأفكارَ كالخمير في العجينْ (...)

هنا لنا ماضٍ وحاضر ومستقبل.»

...

يختلف أدباؤنا في هذه الصفحات في توجُّهاتهم: فبعضُهم لا يرى في الأفق حلاً، أيَّ حل؛ وآخرون يَسْتبطنون الكنعانية؛ ومنهم مَنْ لا يزال يمتشق سلاحَ الماركسية حتى في إبّان اندثارها؛ وآخرون يروْن أنّ ثَمَّ إمكانًا لتعايشٍ ما مع «الآخر»... ولكنَّهم أيًا ما كانوا فإنَّهم يقولون بكلِّ جوارحهم ما قاله توفيق زياد:

«إنّا هنا باقونْ

فلتَشْربوا البحرا

نَحْرس ظلَّ التينِ والزيتونْ.»

...

قال لي صاحبي وهو يحاورني: «ليكن هذا العدد تحت عنوان **حجر الزاوية**. وكنتُ أُدرك ما وراء معناه كما يوحي الإنجيل، فقلتُ له: «زِدْني!» قال: «الشاهدون على الرواية.» قلتُ: «لعلّ هذا القول متأصّلٌ فينا، وباعتراف الأصل والأهل. فنحن شاهدون على رواية العذاب التي كانت، والتي تكون، والتي قد تكون.» ومن هنا فإنّي أودّ من أعماقي أن أقدّم هذه الكوكبة ـ بصحبتي ـ لإخوةٍ خفي عليهم أمرُنا. وأقول لهم: نحن هنا، وهذه كلماتُنا وحواراتُنا وبعضُ ثقافتنا. وبهذا اللقاء معكم نردّ على الإمبراطور بوش الذي صَرَّح ما صرَّح في أعقاب شارونه، وكأنَّنا غائبون، وكأنَّنا لا نكون. وبهذا نردّ على مقولة «أرضٌ بلا شعب لشعبٍ بلا أرض.»

إنّ جوابنا، أيُّها الأحبة، في هذه الصفحات: نحن الأرضُ، ونحن الشعبُ، ونحن فلسطين... حتى في إسرائيل!

المثلّث

* ـ ثمة جوانب ثقافية لم تُسْتوفَ في هذا الملفّ، منها الدراساتُ النقدية حول الإبداع الأدبيّ والصحافة الثقافية وأدب الأطفال والسينما، بالإضافة إلى كتابات مسرحية وإبداعات شعرية ونثرية. وهذه كلّها تقتضي عددًا آخر. فعذرًا. (ف. م)